ومن تلك الآداب أن تعين أقاربك على التزام الحق، وألا تحول الصلة إلى عصبية تتجاهل العدالة، وأن تهتم بدين أرحامك أكثر مما تهتم بمصالحهم الدنيوية لتظل الأسرة كالبلد الطيب الذي يخرج نباته المبارك بإذن الله.

ومن تلك الآداب أن تبدأ في البر والمعروف بمن تعول ثم بالأقرب فالأقرب؛ ففي الأثر أن الله ﷻ لا يقبل صدقة رجل منعها ابن عمه، ومن شاع له في الناس بأنه طيب ويشتكي في الوقت نفسه من أرحامه، فذلك في الغالب لا يخلو من النفاق، هذا وعلى من يدعو ربه أن يتفقد بالدعاء أرحامه من الوالدين والذرية والإخوة والأخوات.

***

نظرة الإسلام الإنسانية للتعامل مع الآخرين

من آداب المؤمن أن نظرته واسعة لا تنحصر في دائرة ذاته ولا ترسب في وعاء شهواته، فهو يبدأ بنفسه ويثني بمن يعول، لكنه يشعر على كافة أحواله أن عليه حقوقًا للغير، ثم لا تزال نفسه الكريمة اللوامة تذكره تلك الحقوق، وتحدوه إلى أدائها حتى يعطي كل ذي حق حقه، فالإسلام يعتبر الإنسانية عائلة واحدة؛ إذ إن الخلق عيال الله، وأفضل الناس أنفعهم لعياله، والإنسانية وإن تقسمت شعوبًا وقبائل فهم جميعًا منحدرون من أب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يتعارفوا والتعارف لا بدَّ أن تعقبه صداقة وتعاون وإكرام.

ولقد أمرنا ربنا أن نوحِّده أولاً، وهذا هو حقه على عبيده، ثم أمرنا حالاً بعد ذلك بأداء الحقوق لذوي الحقوق من والدين وأقرباء وضعفاء وجيران، وما أجمل قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾ [النساء: ٣٦]، وانظر إلى ختام الآية وما تحمله من دلالة حكمية مفادها أن مَن لا يعترف بحقوق مَن حوله، فهو المتغرطس الذي حرم نفسه من حب الله، وما يترتب على حبه -تبارك وتعالى- من مواهب ومكارم يسعد بها العبد في الدارين.

لقد قرأنا في السُّنة النبوية المطهرة ما لو اطلع عليه أهل الحضارات لدهشوا من هذا الفيض الغامر من صنائع الإحسان ورحمة الإنسان بالإنسان.

وإني موردٌ هنا من أقوال رسولنا الكريم ﷺ وأفعاله ما يرسم للدنيا كلها منهج الهدى والحق والعدل والإحسان:

- جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**».

وفي صنائع المعروف والحث على الاستكثار منها يقول رسول الله ﷺ: «**أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»، ومعنى هذا أن المؤمن الذي هداه الله لقضاء حوائج العباد وصنع المعروف مع كل إنسان يكرمه الله يوم القيامة، فيعطيه منزلة رفيعة في المحشر حتى إن الناس ليقصدونه في حوائجهم، فيقضيها لهم كما كان يفعل في أيام الدنيا، بل إن الإسلام ليفرض على كل مسلم حقوقًا لإخوانه المسلمين إنْ لم يؤديها فقد قصَّر في جنب الله، يقول النبي ﷺ: «**خمس من حق المسلم: رد التحية، وإجابة الدعوة، وشهود الجنازة، وعيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد الله**».

وفي السماحة والصفح والتجاوز عن المعسر يقول رسول الله ﷺ: «**كان رجل يداين الناس، ويقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي ربه فتجاوز عنه**».

وقد ورد في كتب السيرة أن رسول الله ﷺ رأى جنازة مقبلة من بعيد، فقام -عليه الصلاة والسلام- احترامًا للموت، كمظهر من مظاهر القهر الإلهي للعباد، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي، فقال رسول الله ﷺ: «**أليست نفسًا؟**»، يعني بذلك أليس إنسانًا من بني آدم ينتمي إلى الأسرة الإنسانية.

وفي رحمة العبد للعبد يقول رسول الله ﷺ: «**مَن فرَّق بين والدة وولدها فرَّق الله بينه وبين الأحبة يوم القيامة**»، ويجعل الرحمة عامة لكل خلائق الأرض من إنسان وحيوان وطير، فيقول -عليه الصلاة والسلام: «**ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**».

وفي صحيح البخاري وسنن أبي داود أن غلامًا يهوديًّا كان يخدم رسول الله ﷺ، فمرض،

فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلمْ**»، وكان أبو الغلام عنده فنظر الغلام إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم الغلام، فخرج رسول الله ﷺ، وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

وفي السُّنة النبوية المطهرة ما يفيد أن المؤمن يجب أن تمتد رحمته إلى الحيوان؛ ففي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**».

- والإنسان في الإسلام أخو الإنسان مهما كان فارق النسب والغنى، ويحقق المسلم هذه النظرة الإسلامية باحترامه كل مسلم، واجتناب إهانته؛ ففي صحيح مسلم عن سويد بن مقرن رضي الله عنه (وسويد هذا هو أخو النعمان بن مقرن شهيد نهاوند)، قال ما خلاصته: إن أخاهم الأصغر لطم جارية لهم كانت تخدمهم، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يعتقوا تلك الجارية مع أنهم كانوا سبعة إخوة ولا خادم لهم سواها.

- وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**».

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ ضَرَبَ غُلامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**».

- وفي صحيح مسلم أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**».

- ومن كرامة بني آدم أن رسول الله ﷺ نهى عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه، وأوجه الكلام حول الوسم في الوجه إلى الإخوة السودانيين ليتركوا هذه العادة التي يبدو أنها من بقايا عادات بالية كافرة.

- وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه حمار قد وسم في وجهه، فقال -عليه

الصلاة والسلام: «**لعن الله من وسمه**».

– ونهى رسول الله ﷺ أن تفجع الطير بفرخها، بل لقد أمر أن ترد عليها فرخها.

– ورأى عمر ﵁ يهوديًّا هرمًا يسأل على أبواب المساجد، فسأله: لماذا تسأل الناس؟ فقال: السن والجزية، فقال له: ما أنصفناك، وأمر له من بيت مال المسلمين بما يصلح من شأنه ويصون كرامته.

– وأنكر رسول الله ﷺ على امرأة من الأنصار حين لعنت ناقتها، ونهى أن يسبَّ الديك.

واشتد رسول الله في أمر من يسبُّ غلامه لما يرى من قدرته عليه، فقال –عليه الصلاة والسلام: «**من قذف مملوكه بالزِّنا أقيم عليه الحد يوم القيامة**».

وقد نهى الله ﷻ عن سباب المشركين وآلهتهم حتى لا يسبوا الله عدوًا بغير علم.

ونهى رسول الله ﷺ عن ذلك يوم بدر حين أقبل أحد المسلمين يلعن أصحاب القليب، فقال –عليه الصلاة والسلام: «**دعوا السباب؛ فإنه يؤذي الأحياء، ولا يصل إلى الموتى، والبذاء لا يأتي بخير**»، «**ليس المؤمن بطعان ولا لعان، ولا فاحش ولا بذيء**».

حقُّ الجـــــار

نستطيع أن نسمِّي أيامنا هذه أو عصرنا هذا «عصر الشكوى»؛ لأن الشكوى هي طابع العلاقات الاجتماعية والعائلية، تسأل الأب عن أبنائه فيشكو تفلتهم من المسئولية وتقصيرهم في الواجبات الأسرية، وتسأل الأبناء عن أبيهم فيشكون لك جموده على العادة ونقده لحديثهم وإخلاده لأفكار رجعية، ومثل هذا القول تسمعه إذا سألت زوج عن زوجته أو أستاذ عن طلابه أو موظف عن مراجعيه، وأكثر ما تتجلى الشكوى إذا ما سألت جار عن جاره هناك تسمع العجب العجاب، وترى النعيم وقد تحول إلى عذاب.

إنَّ أمتع ما يمتعك في معيشتك جار مهذب مسعف على الزمن، يقيل العثار، ويحترم الجوار، ويخف للعون، ويغيث في اللهفة؛ إنه عندئذ أخو لك لم تلده أمك، بل هو أحيانًا أهم من الأخ الشقيق، وأغلى من أصدق صديق؛ لأنك تراه في كل لحظة كرصيد الذهب يغيثك

ساعة الحاجة، فكم من جار مرض مثلاً فلم يدر أخوه الشقيق بمرضه إلا بعد بضعة أيام، بينما علم جاره بمرضه بعد بضع ثوان، فخف لنجدته، وأوصله إلى الإسعاف بسيارته، ولازمه حتى زال بأسه وطابت نفسه، بينما لم يدرِ شقيقه بعلته إلا بعد أن عاد إلى بيته واسترد كامل صحته، مثل هذا الجار لا يوازن بجوهر ولا ذهب ولا بمال ولا نسب؛ لأنه نعمة جزيلة، ومنحة من الله جليلة.

والجار في هذه الأيام إما خير دائم وإما شر مستطير؛ لأن البيوت في أيامنا هذه ليست خيام أو بيوت شعر ينقضها الإنسان في ساعة، ويتحول بها إلى جيرة جديدة.

ومن هنا كان الجار إما نعيمًا دائمًا يبهج النفوس أو علة باطنية تصدع الرءوس، فالبيت في هذه الأيام حديدي الأساس والتحول عنه غرم لا يطاق، وفي صحيح ابن حبان أن رسول الله ﷺ كان يدعو ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ**».

وتبدأ خلافات الجيران تافهة كالشرارة الضئيلة كشجار بين طفلين أو جدال بين امرأتين ثم لا تلبث أن تثور النار من مستصغر الشرر، وإذا مقاطعة تتحول إلى عداء مرير وخصام خطير وأكثر ما يهيج العداء أن يفزع الكبير لابنه الصغير ظالمًا أو مظلومًا ويصدق الرجل زوجته محقة أو مبطلة هنالك تنقلب النعمة إلى نقمة، ويتحول الإخاء إلى بلاء.

ولو أن المسلمين عرضوا أدواءهم وهمومهم على الإسلام لوجدوا فيه شفاء لما في الصدور وحلاً لكل الأمور وعلاجًا لكل المعضلات؛ لأن هذا الدين السماوي الجليل نظَّم العلاقات الاجتماعية تنظيمًا حكيمًا، وحدَّد لجميع الخلطاء واجباتهم وحقوقهم بحيث يكون نبعها الخلق والضمير، ومردها الدين والإيمان.

لقد أوصى الإسلام بالجار سواء أكان كتابيًّا أو مسلمًا أو أجنبيًّا أو قريبًا أو كان صاحبًا بالجنب جاورك وقتًا محدودًا في سفر لجهاد أو تجارة.

وقد رسم الإسلام سنن حكيمة لعلائق الجيران لو اتبعوها لما بكى باكٍ، ولما شكى شاكٍ:

obeikandl.com

- ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليحسن إلى جاره**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**. قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»، أي: شروره وأذاه وغدراته.

- وللطحاوي أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أربعين دار جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله**».

- وفي الحديث الذي رواه الطبراني توجيهات نبوية كريمة لأسس الجيرة؛ إذ يقول -عليه الصلاة والسلام- عَنْ حق الجار: «**إِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ شَيَّعْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنْ أَعْوَزَ سَتَرْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلا تَرْفَعْ بناءَكَ فَوْقَ بنائِهِ فَتَسُدَّ عَلَيْهِ الرِّيحَ، وَلا تُؤْذِهِ بِرِيحِ قِدْرِكَ إِلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا**».

- وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ**».

وفي الأثر: «**الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، والزاد قبل الرحيل**».

هذا، ومن أدب الجار المسلم أن يعتبر أسرة جاره من ضمن عرضه وحماه، وأن يشركهم في العسر، ويعف عن مالهم في الميسرة، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني في «المعجم الكبير»: «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**».

وقديمًا قال الشاعر المسلم يصف علائقه الشريفة بجاره وعرض جاره:

داري ودار الجار واحدة ... وإليه قبلي تنزل القدرُ
ما ضر جارًا لي أجاوره ... ألا يكون لبابه سِترُ
أعمى إذا ما جارتي برزت ... حتى يواري جارتي الخدرُ

ويبدأ المسلم في الإحسان إلى جيرانه بالأقرب فالأقرب، وفي صحيح البخاري أن عائشة -رضي الله عنها- سألت رسول الله ﷺ قائلةً: يا رسول الله، إن لي جارتين، فإلى أيهما أهدي؟

فقال -عليه الصلاة والسلام: «**إلى أقربهما منكِ بابًا**».

وسبب ذلك أن الأقرب منهما بابًا، ربما يرى أولاده ما كنت أحضرته إلى بيتك من رزق الله، فتتعلق به نفوسهم.

والإحسان إلى الجار عادة عربية قديمة أقرها القرآن وأوصى بها جبريل عليه السلام وأتم بها نبيُّنا ﷺ مكارم الأخلاق، وكان من أفظع التهم في الجاهلية أن يتهم المرء بالشبع مع جوع جيرانه، فمن أوجع الهجاء قول الشاعر في قوم:

يبيتون في المشْتَى مِلاء بطونهم وجاراتهُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خمائصًا

وإنما ذكر المشتى؛ لأن الناس في برد الشتاء يقبلون على الطعام حين يقل اللبن في الضروع، ويختفي من البرد الكلأ والزروع، فما أكبر حجم اللؤم حين يملأ المرء بطنه وجاراته وأطفالهن جوعى، يبتن الليل طاويات جياعًا، يقول الله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾ [النساء: ٣٦].

حقوق الضيف

يحرص الإسلام أن تشيع بين أتباعه الألفة، وأن تنزع من بينهم الكلفة، وأن يعتبر كل مسلم أخاه المسلم أخا له بكل معاني الإخاء من حب وإيثار ومؤانسة وكرم ضيافة، ومن ثم فقد رغَّب الإسلام في الكرم وما يتبعه من بشاشة وحسن مقابلة، ونفَّر من الشُّح وما يتبعه من تجهم وسوء لقاء، وأباح الإسلام للأقارب والأصدقاء أن يأكل بعضهم من بيوت بعض بدون استئذان، فلو أن صديقًا مسلمًا قدم على صديق حميم له من إخوانه المسلمين، فوجد البيت خاليًا؛ لأن أهل البيت مثلاً عند جيرانهم، ثم وجد أن الباب لم يقفل، فإن الصديق عندئذ يجوز له أن يفتح الباب، ويدخل إلى المجلس في أدب وأمانة، وإذا وجد في المجلس طعامًا وشرابًا أكل وشرب، وكأنه صاحب بيت، يقول الله تعالى: ﴿**وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَن**

تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

والحقُّ أن الحبَّ يزكو والمودة تتألق حين يرى المسلم صديقًا صالحًا له قد دخل بيته وهو غائب، فأكل وشرب واستراح، ثم غادر البيت وقد ترك وريقة يسلِّم فيها ويشكره ويدعو له.

لقد دعانا الإسلام إلى السماحة والكرم وإطعام الطعام وسلوك طريق الكرام ابتغاء مرضاته ورجاء رضائه.

إنَّ الكرم دليل الإيمان؛ لأن الكريم يثق دائمًا بما عند الله، ويعتقد أن خزائن الله ملأى، وأن يده مبسوطة، أما البخيل فأقل ما يوصف به أنه يائس مما في يد الله معتقد أن خزائن الله قد نفذت، وأن ما عنده بعيد لا ينال ولا يوصل إليه.

وقد آلمني أن المسلمين الكرام أحفاد الصحابة قد دخلوا في مسابقة الكرم مع اليهود البخلاء الأذلة، فقدم اليهود لدعم باطلهم أضعاف ما قدمه العرب المسلمون لدعم حقهم.

وإني موردٌ هنا بعض الأحاديث حول الكرم والضيافة والأكل، ثم إني متبعها إنْ شاء الله بما يستنبط منها:

- جاء في صحيح الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليصل رحمه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو ليصمت**».

- وفي صحيح مسلم قصة ضيف رسول الله ﷺ حين قدم عليه، فلم يجد عند زوجاته إلا

الماء، فتطوع رجل من الأنصار وأخذ معه ضيف رسول الله فلم يجد عند زوجته إلا بمقدار ما يعشي أولاده، فقال لزوجته: علليهم بشيء، فإذا أرادوا العشاء فنوميهم، فإذا دخل الضيف فأطفئي السراج، فقعدوا وأكل الضيف وهو يتوهم أنهم يأكلون وباتوا هم وأبناؤهم طاوين، وفي الصباح قال رسول الله ﷺ للأنصاري: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة، ونزل قوله تعالى في هذه المناسبة: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِي عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ**».

- وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**لا خير فيمن لا يضيف**».

وفي مسند أحمد أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**كفى بالمرء شرًّا أن يحتقر ما قرب إليه**»، وفي الصحيح: «**نعم الإدام الخلُّ**».

- وجاء في الأحاديث الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعه، وقوله: «**الخير أسرع إلى البيت الذي يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير**»، وقوله كذلك: «**زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا**». وفي الأثر: «**إن الله يحب الذي تتكاثر الأيدي على إنائه**».

هذا، وقد عدَّد الأشياخ آداب الضيافة والأكل، وهذا بعض ما ذكروه كما جاء في «مختصر القاصدين» لابن قدامة المقدسي - رحمه الله:

من ذلك غسل اليدين قبل الأكل، وألا يملأ الآكل معدته، بل يترك فراغًا للشراب والنفس، وأن يرضى بما يتيسر ولا يذم أي طعام، وأن يجتهد في تكثير الأيدي على مائدته، وأن يبدأ باسم الله، ويصغر اللقمة، وأن يمضغها جيدًا، ولا يمد يده إلى لقمة أخرى حتى يبلع الأولى، وأن يأكل مما يليه، وإذا وقعت لقمة أخذها، وألا ينفخ في الطعام الحار، وألا يضع قشر الفاكهة أو نوى الرطب في نفس وعاء الفاكهة أو الرطب، وألا يشرب قائمًا، وأن يأكل كل ما في صحنه الخاص به حتى لا تكبَّ البقية، وأن يلعق أصابعه بعد الأكل، وأن يحمد الله في آخره؛ لأن الله يرضى من العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله.

ومن الآداب ألا يكون أول من يمد يده إلى الطعام، ويستحب أن يتحدث المجتمعون على الطعام أحاديث جميلة، ولو بأثمان أسلحتهم؛ لأن ذلك يعطي فترات لراحة المعدة، وأن يؤثر بعض الآكلين بعضًا باللقمة الطيبة، وأن يظهر الضيف السرور، ويتجنب الانقباض والخجل.

ومن آداب الطعام ألا يفعل أفعالاً يستقذرها الآخرون؛ كأن ينفض يده في الإناء، ولا يقرب رأسه إلى القصعة وهو يأكل، وإذا أراد أن يخرج من فمه شيئًا ولى وجهه عن الطعام والآكلين، وألقى به حيث لا يُرى.

كذلك من آداب الأكل ألا يظل مراقبًا للضيوف أثناء أكلهم حتى لا يخجلهم، وإذا أكل جزءًا من لقمة؛ فلا يغمس بقيتها في المرقة، ويستحب أن تقدم الطعام بنفسك إلى ضيوفك وتظهر لهم السرور والغبطة؛ فقد روي عن الإمام عليٍّ رضي الله عنه قوله: «لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إليَّ من أن أعتق رقبة».

ومن آداب الضيف ألا يقترح على المضيف طعامًا معينًا إلا إذا فرضه طبيب أو عرف الضيف أن مضيفه يسر باقتراحه، وإذا خيره المضيف أن يصنع له أحد طعامين اختار الأيسر.

ومن آداب كرم الضيافة أن تقصد بكرمك وجه الله، وأن تدعو الأتقياء، وتتجنب دعوة الفساق، ولو كانوا ذوي جاه ومنصب وغنى، وألا تخلط كرمك بالرياء والنفاق وطلب السمعة؛ فذلك يضيِّع أجر الكرم، وإذا دعيت إلى طعام عند أخيك فأجب، وبخاصة إذا كانت وليمة عرس حتى ولو كنت صائمًا متنفلاً؛ لأن إجابتك تسرُّ أخاك، وتكمل فرحه.

ومن آداب تقديم الطعام تعجيله؛ لأن انتظار المائدة شاق، وألا تعجل برفع الطعام حتى ينتهي آخر الضيوف، وأن تقدم من الطعام قدر الكفاية بلا تقليل ولا إسراف، وأن تعزل من الطعام لأهل بيتك وأطفالك.

أما الضيف؛ فيجب أن يظهر الشكر والرضا والسرور حتى ولو رأى تقصيرًا في واجبه.

* * *

حقوق العمال

في هذه الأيام تعج الديار بعدد لا يستهان به من العمال والأجراء والخدم يستقدم معظمهم من الخارج، ويعملون في مجالات شتى، فمنهم مزارعون ودعاة وخادمات بيوت، ومنهم سائقون وأصحاب صناعات وحرف، ومنهم باعة في الأسواق وعمال نظافة مع شركات الصيانة، وكلهم بفضل الله يخدمون المواطنين ويتقاضون أجورهم في مقابل عمل حلال.

والحقُّ أن هؤلاء جميعًا هم في حماية الدولة؛ لأن القوانين التي سنتها الدولة في إدارات العمل تضمن حق العمال وأصحاب الأعمال، ومن قبل ذلك نظَّم الدين الإسلامي علاقات العامل بمستخدمه، وأوضح الحقوق والواجبات المترتبة على كل منهما.

وإني ذاكرٌ الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من الأجير والمستأجر أو العامل وصاحب العمل أو الخادم والمستخدم لكي يبارك الله لكل منهما في عمله وفي كسبه:

أولاً: كل من العامل وصاحب العمل يعتبر نعمة لأخيه، فالعامل يخدم رب العمل ويريحه من كثير من مسئولياته وأعبائه، وصاحب العمل يدفع له أجرته فينفق منها على عياله ويعف بها نفسه ويصون ماء وجهه، وكل منهما في الحقيقة يخدم الآخر، وقديمًا قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرةٍ   بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدموا

وعلى كلٍّ من العامل وصاحب العمل أن يعتبر أخاه نعمة من الله أنعمها عليه، فيشكر صاحب العمل أخاه لما يوفر عليه من وقت ومشقة، ويشكر العامل أخاه؛ لأنه أوجد له عملاً ووظفه في وظيفة شريفة.

والعمل شرف مهما كان نوعه؛ لأن العامل يؤدي عمله بشرف وأمانة ويتقاضى أجره في عزة وكرامة، ومن هنا فإن كلا من الطرفين يجب أن يتعاملا باحترام متبادل، فلا يحقر رب العمل خادمه، ولا يعصي الخادم مستخدمه؛ إذ إن كل منهما أخ للآخر، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ (أي: خدامكم) جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ**

كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ؛ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ».

ثانيًا: لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يستعلي المخدوم على خادمه فيهينه أو يشتمه أو يرفع صوته عليه بدون ذنب أو يضربه؛ لأن الناس كلهم لآدم، والتفاضُل بالتقوى، ولَرُبَّ خادمٍ مؤمن قائم بشعائر دينه يكون أفضل عند الله من سيده، ولربما يدخل صاحب العمل الجنة يوم القيامة بشفاعة خادمه إذا هو أحسن إليه وعطف عليه، والله يؤتي فضله من يشاء.

جاء في الصحيحين عن المعرور بن سويد ﵁ أنه رأى أبا ذر ﵁ عليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها، فسأله عن ذلك، فذكر أبو ذر أنه سابَّ رجلاً فعيَّره بأمه، فقال له النبي ﷺ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، ويبدو أن ذلك الغلام هو المسبوب كان خادمًا لأبي ذر.

ثالثًا: إذا أحضر لك خادمك حلوى أو طعام يشتهيه فأعطيه منه، ولا تتركه يتفرج عليك وأنت تأكل وحدك؛ إذ ربما ينظر إليه وهو مشتاق إلى ذلك الطعام؛ فقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه؛ فليناوله لقمة أو لقمتين**».

رابعًا: إن أجرة الأجير عند الله -تعالى- مقدسة لا يجوز أن تؤكل أو تنقص، وعلى صاحب العمل أن يحدد للأجير أجره قبل أن يستخدمه حتى يكون الأمر واضحًا لا يحتمل التأويل، فقد جاء في سنن النسائي أن رسول الله ﷺ نهى عن استئجار الأجير حتى تبين له أجره.

هذا، وقد أولع بعض أصحاب الأعمال أن يؤجل دفع أجرة الأجير حتى يتراكم له عنده شهر، وفي أثناء ذلك يحتاج الأجير فلا يعطى شيئًا من أجره، وأخيرًا إذا تجمع للأجير مبلغ حسن وسوس الشيطان لمستأجره أن ينقص الأجر أو يساوم عليه أو يأكله أو يقول للأجير: أتنازل عن كفالتك في مقابل أن تتنازل عن أجرك وحقوق خدمتك، ومن أصحاب العمل من يكون مجرمًا فيستغل نفوذه ويرحِّل الأجير ليضيِّع عليه أجره، فقد جاء في مسند أبي يعلى أن رسول الله ﷺ قال: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»، وفي مسند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**ظلم الأجير أجره من الكبائر**».

خامسًا: إذا سقط من يد الخادم إناء أو شيء ذو ثمن فانكسر، فما يجوز أن يعاقب الخادم أو يهان به أو يغرم إلا إذا كان هذا الأمر يتكرر منه باستهانة مقصودة، فيوجه عندئذ في حزم ورفق، وروى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تضربوا إياءكم على كسر إنائكم؛ فإن لها أجالاً كآجال الناس**».

وقد كان لسلفنا الصالح في هذه الفضيلة مواقف عظيمة فكان علي بن الحسين (زين العابدين) رحمه الله- مثلاً في الحلم عن الخدم، حتى كان يعتق الخادم إذا أتلف شيئًا وتخوف العقاب، فقد روي أنه كان له خادمًا (عبد) سيئ الخلق، فاقتراح عليه بعض إخوانه أن يبيعه ليستريح من سوء خلقه، فقال -رحمه الله: لن أبيعه مهما غلا ثمنه؛ لأني أتعلم عليه الحلم والصبر.

سادسًا: هذا ومن آداب صاحب العمل أن يزور عماله وينصحهم ويوصيهم بتقوى الله ومكارم الأخلاق، وأن يرسل إليهم بطعام المناسبات؛ فإنهم عندئذ يحبونه ويدعون له ويسمعون كلامه، وما أجمل أن يخفف عنهم العمل في رمضان، ويخرج عنهم زكاة الفطر، ويقدم لهم في العيد هدية لأولادهم؛ فإنهم عندئذ يدعون له، ودعاء المسلم لأخيه بظاهر الغيب مقبول إنْ شاء الله.

سابعًا: هذا، ولا يفوتني أن أنبِّه العمال والأجراء بدورهم، فأقول لهم: إنَّ العمل شرف وأن أداءه على وجهه الأتم هو مطلب من مطالب الدين، فالعامل مؤتمن على العمل في غياب صاحبه وحضوره، والله تعالى يحب إذا عمل الإنسان عملاً أن يتقنه، ففي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله؛ فله أجره مرتين**»، وقال أبو هريرة: والذي نفس أبي هريرة بيده، لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك.

هذا، ولا يجوز للمسلم إذا رأى أجيرًا مخلصًا متقنًا لعمله أن يغريه بترك مستخدمه ويفسده عليه بزيادة أجر أو نحوه، فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البيهقي: «**من خبب** (أي: أفسد) **خادمًا على أهله؛ فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها؛ فليس منا**».

* * *

الإصلاح بين المتخاصمين

إنَّ أعظم القضاة توفيقًا هو الذي يعمل كل جهده في الإصلاح بين المتخاصمين عنده، وما أجمل أن يخرج كل المتخاصمين من عند القاضي متصالحين، فالصلح سيد الأحكام وهو جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، وفي هذا يقول الله -تعالى: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾ [النساء: ١٢٨]، وفي سورة «الحجرات»: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠].

وحتى في قضايا الدماء تجد القاضي الموفق يسر الصلح ويدعو إليه، وذلك لأن فصل القضاء يورث الضغائن بينما الصلح يرضي الطرفين، فيخرج المتخاصمان وكل منهما يحمد للآخر تسامحه.

قال عمر رضي الله عنه: «ردوا الخصوم حتى يصطلحوا؛ فإن فصل القضاء (يعني: الحكم الصارم) يورث بينهم الضغائن».

وهذه بعض الأحاديث الكريمة نوردها ثم نستنبط ما اشتمل عليه من أحكام:

- في صحيح البخاري ما خلاصته أن رسول الله ﷺ خرج معتمرًا سنة الحديبية فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فعقد مع قريش صلحًا يقضي بأن يعود هو وصحبه هذا العام دون أن يعتمروا، ثم يعودوا فيعتمروا في العام المقبل، ولا يحمل سلاحًا إلا سيوفًا، ولا يقيم إلا ما أحبوا، فاعتمر في العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثًا أمروه أن يخرج فخرج.

- وفي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- قالت عن قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا**﴾ [النساء: ١٢٨]: نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها، فيريد طلاقها ويتزوج غيرها، فتقوله له: امسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري، وأنت في حل من النفقة عليَّ والقسمة لي (أي: في الليالي)، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾ [النساء: ١٢٨].

- وفي صحيح البخاري أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر النبي ﷺ، فقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**».

- وفي سنن أبي داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، والمسلمون على شروطهم إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً**».

- وروي الجماعة ما خلاصته أن أحد الأنصار خاصم الزبير في قناة ماء تمر في بستانيهم، فذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال للزبير: «**اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك**»، فغضب الأنصاري وقال لرسول الله ﷺ: إن كان ابن عمتك، فتلوَّن وجه النبي ﷺ وقال للزبير: «**اسق يا زبير، ثم احبس الماء، حتى يرجع إلى الجَدْرِ**»، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

أولاً: من أهم خصائص الإسلام وأهدافه تحقيق المحبة والتآلف والإخاء بين المسلمين، ومن أجل ذلك فرض أركان الإسلام وجنَّدها لتجمع المسلمين وتوحدهم وتشيع بينهم الإخاء الصادق، ومن المعروف أن أي متخاصمين في حق أو جناية يدخل بينهما الشيطان، فيوعز القلوب ويشحن الصدور بالحقد والكراهية، وما يفتأ يتصيد بينهما في الماء العكر حتى يطمس في قلبيهما كل معاني الأخوة والمحبة، ويحل محلها العداوة والبغضاء، ومن أجل ذلك شرع الصلح بين المسلمين، وفضله على الحكم الصارم الذي لا هوادة فيه ولا عفو.

ثانيًا: لاحظ المفسرون أن آية سورة «النساء» التي تذكر الصلح جاء في سياقها ذم الشح، وفي هذا إشارة أن أشد شيء يثير البغضاء ويخرب جهود المصلحين هو الشح، والشح معناه البخل الممزوج بالأنانية؛ لأن الصلح عادة يتطلب من المتخاصمين أن يتنازل عن بعض حقه من أجل فض الخصام، وإن أكثر ما يخرب جهود المصلحين هو زوال روح الإيثار والكرم من بين المتخاصمين، فيتشبث كل منهما برأيه، وقد تسمع أحدهما وهو يحلف بالله ألا يتنازل عن ريال واحد، وفي ظرف حادٍّ من هذا النوع يصبح الصلح أمرًا عسيرًا جدًّا.

ثالثًا: في صحيح البخاري عن جابر ﵁ أَنَّ أَبَاهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَاشْتَدَّ

obeikandl.com

الْغُرَمَاءُ (أي: أصحاب الديون) في حُقُوقِهِمْ، قال جابر: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا تَمْرَ حَائِطِي (أي: بستاني)، وَيُحَلِّلُوا أَبِي فَأَبَوْا، فَلَمْ يُعْطِهِمِ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطِي، وَقَالَ: «**سَنَغْدُو عَلَيْكَ**». فَغَدَا عَلَيْنَا حِينَ أَصْبَحَ، فَطَافَ فِي النَّخْلِ، وَدَعَا فِي ثَمَرِهَا بِالْبَرَكَةِ، فَجَدَدْتُهَا فَقَضَيْتُهُمْ، وَبَقِيَ لَنَا مِنْ تَمْرِهَا.

وفي رواية: أن أَبَاهُ تُوُفِّيَ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلاَثِينَ وَسْقًا (والوسق مكيال يعادل الخمسين كيلو جرامًا) لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ، فَأَبَى أَنْ يُنْظِرَهُ (أي: يصبر عليه)، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ الله ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ وَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ نَخْلِهِ بِالَّذِي لَهُ فَأَبَى، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ النَّخْلَ، فَمَشَى فِيهَا ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ: «**جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ**». فَجَدَّهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ، فَأَوْفَاهُ ثَلاَثِينَ وَسْقًا، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسْقًا، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ الله ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ، فَقَالَ: «**أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ**»، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا.

رابعًا: يجوز للمصلح أن يشفع شفاعة حسنة في إسقاط جزء من الحق، ولا يكون في ذلك أثم على المصلح، بل هو حسنات إنْ شاء الله، يقول الله تعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ [النساء: ٨٥].

فلو أن متخاصمين تخاصما حول دين قديم لأحدهما على الآخر، فتدخل المصلحون وقالوا للدائن: إن أخاك معسر فاكتف منه بنصف الدين، ثم أرحه في الباقي، فرضي بذلك كلا الطرفين كان هذا الحكم صلحًا، ولا إثم في الضغط على الدائن؛ لأن ما يتجاوز عنه في حقه لأخيه يجعله الله صدقة في ميزان حسناته.

خامسًا: حقوق العباد هي التي تتصالح، إما حق الله فلا صلح عنه، فلو صالح الزاني أو السارق أو شارب الخمر من أمسكه ليرفع أمره إلى الحاكم على مال ليطلق سراحه، فإن الصلح لا يجوز، وتعتبر أخذ العوض في هذه الحال رشوة، وكذلك لا يجوز للمدعى عليه أن يصالح الشهود كي لا يشهدوا عليه، فإذا فعل وقع عليه وعلى شهوده إثم كبير، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٨٣].